التيارات الفكرية في الموصل خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين

Intellectual trends in Mosul during the third and fourth centuries AH

أ.د. مها سعيد حميدالخفاف*

Prof. Dr. Maha Saeed Al-Khafaf
mahasaeed@uomosul.edu.iq

الملخص:

لم تكن مدينة الموصل بمعزل عن التيارات الفكرية التي ظهرت في الحواضر الاسلامية منذ نهاية القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، فقد ظهرت فيها تيارات فكرية مدعومة بتوجهات سياسية او رد فعل لوضع سياسي مرت به مدينة الموصل، اما اهمية البحث فهو تسليط الضوء على تاثير التيارات بعضها على بعض ، مثل تداخل أفكار الجَهمية مع أفكار الفرق الأخرى كالمعتزلة ، في حين تبنى بعض الخلفاء العباسيين الفكر المعتزلي وفرضه على الناس ، وهدف البحث الى ابراز التيارات الفكرية في الموصل واسباب ظهورها وادوات التصدي لها، وما نتج عنه من مؤلفات ومجادلات فكرية، وتبين من خلال البحث ان التيار المعاكس للجهمية هم الحنابلة، الذين وقفوا بشدة ضد افكارهم.

الكلمات المفتاحية: التيارات، الفكر، الموصل، الحنابلة، الجهمية.

* جامعة الموصل/مركز دراسات الموصل.

Abstract:

Mosul was not isolated from the intellectual currents that appeared in Islamic cities since the end of the first century AH/seventh century AD. Intellectual currents supported by political orientations or a reaction to the political situation that Mosul went through appeared in it. The importance of the research is to shed light on the influence of the currents on each other, such as the overlap of the ideas of the Jahmites with the ideas of other groups such as the Mu'tazilites, while some Abbasid caliphs adopted the Mu'tazilite thought and imposed it on the people. The research aimed to highlight the intellectual currents in Mosul, the reasons for their emergence and the tools to confront them, and the resulting intellectual writings and debates. The research showed that the current opposing the Jahmites were the Hanbalis, who stood strongly against their ideas.

Keywords:Trends, thought, Mosul, Hanbalis, Jahmites.

المقدمة:

شهدت مدينة الموصل ظهور تيارات فكرية مدعومة بتوجهات فكرية منذ القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي،وليس مصادفة ان تكون نهاية الدولة الاموية بعد معركة الزاب سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) بالقرب من الموصل ، وكذلك ليس مصادفة قيام اول ثورة على بني العباس في الموصل ضد واليهم محمد بن الصول سنة (١٣٣هـ/٧٥١م)،ثم ظهرت تيارات اخرى مثل الجهمية والمعتزلة والحنابلة، وجميع هذه التيارات كان ظهورها ونشاطها قائما على الفعل وردة الفعل تجاه السلطة او تجاه بعضها مع البعض.

التيار لغة : هو حركة سطحية تحدث في الماء وتتاثر باتجاه حركة الرياح، كما يعرف بانه شدة جريان الماء، اما اصطلاحا: يمكن تعريف كلمة تيار اصطلاحا على انها حركة مندفعة مثل الموج، ولها صفة الشمولية وتنتقل من خلال الاشخاص ، كما تعني كلمة تيار تعدد الافكار

تجاه قضية او امر معين[١]، اما مصطلح التيار الفكري هو مجموعة من الافكار التي تنتهجها فئة معينة وتتخذ فكراً معيناً او اتجاها واحد بهدف تغيير الواقع القائم [٢].

ويعد موضوع البحث من الموضيع المعقدة وذلك لعدة اسباب في مقدمتها تداخل بعض افكار التيارات الفكرية بعضها مع البعض، فضلاً عن عدم توفر المصادر الأصلية التي تعبر عن وجهة نظر هذه التيارات، مما ادى إلى الاعتماد على كتب الفرق الإسلامية التي ظهرت بشكل واضح في القرن الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ، كذلك عدم توفر الكتب التي ردت على هذه التيارات في عصر ظهورها أو بعده بقليل، وما وصل الينا الا القليل منها مثل: كتاب (الرد على الزنادقة والجَهمية) لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، وكتاب (خلق أفعال العباد والرد على الجَهمية وأصحاب التعطيل) للامام محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) وغيرها.

اما اهمية البحث فتظهر من خلال تاثير افكار التيارات بعضها على بعض ، مثل تداخل أفكار الجَهمية مع أفكار الفرق الأخرى كالمعتزلة ، وتبني بعض الخلفاء العباسين للفكر المعتزلي وفرضه على الناس وهم كل من المامون والمعتصم والواثق، مما ادى الى رد فعل له امتدادات على مستوى التاليف, وتاثير الخوارج على الوضع السياسي في الدولة الاموية والعباسية، في حين لم يظهر الفكر الصوفي الا بعد فترة متاخرة من ظهور التيارات السابقة، وهدف البحث الى ابراز التيارات الفكرية في الموصل واسباب ظهورها وادوات التصدي لها، وما نتج عنه من مؤلفات ومجادلات فكرية،وقسم البحث الى فقرات عدة تناولت الفقرة الاولى: نبذة تعريفية عن التيارات الفكرية خلال مدة البحث واهم الافكار التي دعت اليها، وتحدثت الفقرة الثانية، عن المواجهات بين التيارات الفكرية في الموصل، ثم الخاتمة.

اولا : نبذة تعريفية عن التيارات الفكرية في الموصل:

(١) الفيروز آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب،معجم القاموس المحيط،ط٣،(بيروت:٢٠٠٨)،دار المعرفة،ص١٦٥.
(٢)الفيروز آبادي ،معجم القاموس،ص١٦٥.

شهدت مدينة الموصل ظهور عدد من التيارات الفكرية ، وكان لكل واحدا منها افكارها واهدافها ، استطاعت ان تؤثر على المدينة واهلها ، وسوف يتم التعريف بهذه التيارات حسب تسلسلها الزمني وهي:

اولا –الخوارج: وهي اول فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري/السابع الهجري، ويعد هذا الاسم من اكثر الاسماء التي عرفت بها هذه الطائفة، وقد غلب عليها الطابع اللغوي فكل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، يسمى خارجيا سواء كان الخروج في ايام الصحابة على الائمة الراشدين، ام كان بعدهم على التابعين باحسان[١]،ويعود سبب ظهور الخوارج في الموصل الى عدة عوامل اولها: الدافع القبلي الموجود في الجزيرة الفراتية والموصل، والعامل الثاني: الضعف النسبي للقوتان الرئيسيتان في المنطقة وهما الدولة الفارسية والبيزنطية، واصبح للعرب وجود في المنطقة ،وعند الفتح الاسلامي للموصل كان ابناء القبائل العربية ضمن جيش الفتح وان كثير من القبائل جاءت مع جيش التحرير كمقاتلين واستقر قسم منهم بالموصل والجزيرة، وان بعض القبائل هذه توافدت من البصرة والكوفة وسكنت مدينة الموصل واطرافها، وقد ذكر الطبري بان" اهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من ترك هجرته من اهل البلدين" [٢]، وتواصلت سياسية استيطان القبائل العربية في الموصل في عهد الخلفاء الراشدين والامويين وولاتهم بنقل بعض القبائل العربية الى الموصل واطرافها مثل قبيلة بني شيبان والازد، فكانت سياسة الخلفاء الراشدين نقل القبائل من الكوفة والبصرة لعدة اسباب منها كون الموصل منطقة ثغرية في مواجهة الروم البزنطيين والسبب الثاني محاولة اضاف الطابع العربي القبلي على سكان الموصل والتخلص من التزام القبائل الموجودة في البصرة والكوفة وبعض مشاكلها،واكد ذلك البلاذري(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) اذ ذكر انه عندما تولى هرثمة بن عرفجة البارقي الموصل قام بتمصيرها " فانزل العرب منازلهم واختط لهم"[٣] ، واصبحت الموصل من اهم المراكز القبلية ومركزا للتجمع القبلي وقد اشار ابن

(١) جار الله، زهدي حسن، المعتزلة،(يافا:١٩٤٧)،ص٢١.

(٢) الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك،تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم،(بيروت:١٩٦٦)، دار المعارف، ١٦١/٤.

(٣) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان،(بيروت:١٩٧٨)،دار الكتب العلمية،ص٣٢٧–٣٢٨

حوقل الى ذلك بقوله:" مدينة الموصل اهلها عرب ولهم بها خطط.." [١]، واهم الافكار التي دع لها الخوارج: الخلافة وهو موضوع معقد وكان نقطة البدء في تقسيمات الدينية في الاسلام،فضلاًعن التاكيد ما يدعوه ببراعة(الخروج على المعتقد)اي التزام المؤمنين باعلان عدم شرعية الامام الذي يخرج عن الطريق السوي وخلعه حتما، ومن جهة اخرى يعلنون ان كل من لاتشوبه شائبة من الناحيتين الاخلاقية والدينية يمكن للامة الاسلامية ان تختاره لشغل منصب الامامة ، والخروج على الحكام اذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين و المساواة وغيرها من الافكار التي ساعدت على ظهور الخوارج [٢]، فالتركيب القبلي الذي استمر وجوده بالرغم من اتجاه الامويين منذ بدايتهم الى تكوين مفهوم الدولة لدى القبائل، والاتجاه نحو المركزية، ومبدا الوراثة في الحكم الذي اعتمده الامويين لم يكن ملائما للخوارج[٣] ، حتى ان الجزيرة وصفت بانها خارجية لانها مسكن ربيعة[٤]وقبيلة بنو شيبان التي كانت اكبر القبائل واشدها باسا والذين انتشروا في اطراف الموصل وبخاصة شرقيها[٥]،وكان اكثرهم قادة جيوش الخوارج اذ ظهر فيهم شبيب بن يزيد الشيباني، وسعيد بن بهدل الشيباني والضحاك بن قيس الشيباني، وشيبان بن عبد العزيز اليشكري، فضلا عن قبيلة تميم كان قسم منهم من الخوارج واشهر زعمائها صالح بن مسرح التميمي[٦] .

اذن هناك عوامل عدة كانت وراء انتماء الى الخوارج منها دينية اذ ظهر في القرن الثاني الهجري فقهاء خوارج مثل الفقيه حفص بن اشيم الموصلي الخارجي من بافخاري(ت١٤٨هـ/٧٦٥م) له مصنفات منها (كتاب الفرق و الرد عليهم) ويعد من مصنفي الموصل وهو احد فقهاء الخوارج [٧] ، وتعد مصنفاته من اقدم المصنفات في الموصل، لكن يبدو ان النسخ والتداول المحدود للكتب

(١) ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي ،صورة الارض، (بيروت:١٩٧٩)،دار مكتبة الحياة،ص١٩٥

(٢) احمد امين ،فجر الاسلام، ص٥٥

(٣) السلمان،عبد الماجود احمد،الموصل في العهدين الراشدي والاموي،ط١،(الموصل:١٩٨٥)، مطبعة جامعة الموصل،ص١٧٧-١٧٨.

(٤) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد العقد الفريد ، تحقيق:محمد سعيد الغريان (بيروت:١٩٤٠)،٢٤٨/٦.

(٥) السامر، فيصل، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب،٦٢/١.

(٦) السلمان، الموصل،ص١٧٩-١٨٠.

(٧) الازدي،ابو زكريا، تاريخ الموصل، تحقيق:علي حبيبة،(مصر: ١٩٦٧) ، لجنة التراث العربي،٢٠٥/٢.

فضلا عن محاربة السلطة الاموية والعباسية للخوارج حال دون وصول هذه الكتب فالتيار الفكري الخارجي كان نشاطه سياسي عسكري غلب على انتشار ادبياته.

ثانيا – الجهمية:

بدأت نزعات الفكر الجهمي في أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي كرد على الحركة القدرية وهم أولئك الذين يقولون ان الانسان صانع أفعاله وخالقها بخيرها وشرها ولا دخل لقدرة الله فيها، والتي ظهرت ضمن مقولات معبد الجهني (ت٨٠هـ/٦٩٩م)وغيلان الدمشقي (ت١٠٥هـ/٧٢٣م)، وكانت سمات التجهم عند غيلان واضحة مثل : رد النصوص ومعارضتها بالشبهات العقلية"[١]، وكرد فعل للقدرية برزت الجهمية تقول ان أفعال الانسان خيرها وشرها من الله وان نسبتها إلى العبد انما هي على سبيل المجاز كقولنا جرى النهر، وانما الذي أجراه حقيقة هو الله فالانسان في زعمهم كالريشة في مهب الريح، ولهذا قيل ان الجُهمية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد[١]، اما الأصول الاولى للجهمية فترجع إلى مصادر شتى أهمها:

اولاً: الديانة اليهودية: فاليهود شاع عنهم مذهب التشبيه المبني على تعطيل الصفات[٢] فيورد ول وايريل ديورانت ان بعض اليهود يفسرون النصوص الدينية حتى تتفق مع ظروف البيئة قائلاً:"ولتعديل حرفيتها...في بعض الاحيان حسب ضرورات الحياة وظروفها الدائمة التغيير"[٣] وجاء في بعض أدبيات اليهود ان : كل ما ورد في الكتاب المقدس من عبارات تشير إلى شيء من أعضاء الجسم او اية صفة من صفاته يجب ان يفسر تفسيراً مجازياً[٤] فالمجاز والتعطيل كان سائداً عند اليهود، وهذا ما أكده الشهرستاني بقوله :"لقد كان التشبيه خالصاً في اليهود، فاليهود سعوا

(١) الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط١،(القاهرة:١٩٥٠)،مكتبة النهضة المصرية ، ١/١٤-١٦؛ العقل ، ناصر عبد الكريم، الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومن هجهما وموقف السلف منهما قديما وحديثا، ط١،(المملكة العربية السعودية:٢٠٠٠)،دار الوطن للنشر،ص٣٣.

(٢) العقل،الجهمية،ص٢١.

(٣) ينظر: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (بيروت:١٩٨٨)، دار الجيل،١١/٧٣.

(٤)ديورانت،قصة الحضارة،١٤/١٢٧؛عرموش، احمد راتب،اليهودية،مقال منشور في موسوعة الاديان الميسرة،ط٤،(بيروت:٢٠٠٧)،ص٥٠٤

إلى نقل التشبيه والتعطيل إلى المسلمين وكان من أبرزهم لبيد اليهودي من بني قريظة توفي في النصف الأول من(ق١هـ/٧م) قال بخلق التوراة وكان يتعاطى السحر[١] ، ثم أخذ عنه هذا المذهب طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم توفي بعد سنة(٤٠ هـ/٦٦٠م) واخذ ينشره في العراق[٢] ، ومن اخذ عنه بيان بن سمعان التميمي وهو مولى أصله من سواد الكوفة ، وكان يعمل بالتبن في الكوفة[٣] ، لم تذكر المصادر سنة ولادته فقط ذكرت آرائه التي دعا اليها[٤] ، مما أدى إلى قتله سنة (١١٩هـ/٧٣٧م)على يد الوالي خالد بن عبد الله القسري(١٠٥-١٢٠هـ/٧٢٣-٧٣٧م) بأمر من الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م) ، اذ ذكر ابن قتيبة الدينوري ان بيان هو أول من قال بخلق القران[٥] ،كما أدعى الامامة ولم يعترف بالخليفة الأموي الحاكم آنذاك[٦]، كما ذكر الاشعري ان بيان ادعى النبوة، اذ استغل موت أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سنة (٩٨هـ/٧١٦م) الذي لا عقب له، وادعى انه أوصى اليه بالامامة، وحاول ان يبرز نفسه عن طريق امتلاكه صفات خارقة عن طريق الحلول،التي لا يحق لبيان ان يوصي بها في عقبه بعد موته، بل ترجع إلى الأصل[٧]، ولكي يدعم حقه في الامامة، زعم انه هو المقصود بالآية القرآنية قال تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)[٨] ، ونتيجة لآرائه الغريبة عن الاسلام قتل على يد الوالي خالد القسري إذ قال بخلق القرآن، وبذلك نلاحظ ان الديانة اليهودية أثرت على بعض المسلمين وبرز التأثير من خلال لبيد بن الأعصم اليهودي وتأثيره على أفكار بيان الذي قال بخلق القران،لذا فان عنف الرد على مثل هذه الأفكار كان مبرراً احياناً.

(١) ابن سعد،أبو عبد الله محمد بن منيع، الطبقات الكبرى،(بيروت:١٩٥٨)، دار صادر، ٥٤/٢

(٢) ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، ضبطه ووثق نصوصه وعلق عليه: الداني بن منير ال زهوي، (بيروت:٢٠٠٦)، المكتبة العصرية،١٢٩/٢؛الاشعري، مقالات الاسلامين،ص٦٦-٦٧.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار،١٢٩/٢

(٤) الاشعري، مقالات الاسلامين، ص٦٦.

(٥) ينظر، عيون الاخبار،١٢٩/٢.

(٦) العسلي،خالد،جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي،(بغداد:١٩٦٥)، المكتبة الاهلية،ص٣٩-٤٦.

(٧) ينظر:مقالات الاسلاميين،ص٦٦-٦٧؛ وأيضاً النوبختي،أبو محمد الحسن بن موسى فرق الشيعة فيه مذاهب أهل الامامة وأسماؤها،(النجف:١٩٥٩)،المطبعة الحيدرية،ص٥٥

(٨) سورة ال عمران، اية ١٣٨.

ثانياً:الصابئة[١] الحرانيون: كانت مدينة حران[٢] فيها كبار الصابئة والفلاسفة القائلين بقدم العالم وتعطيل الصفات، وبرز في هذه المدينة رجل يدعى الجعد بن درهم من ام نصرانية[٣] ، وأختلف المؤرخون في ذكر أصوله فذكر الثعالبي انه مولى بني مروان[٤] ،اما السمعاني فقال انه مولى سويد بن غفلة[٥]، تلقى علومه الاولى في حران، ثم ذهب إلى دمشق وسكنها، ثم ذهب إلى الجزيرة وكان واليها مروان بن محمد ثم رجع إلى دمشق، ولما تولى هشام الخلافة ذهب الجعد مرة ثانية إلى الجزيرة الفراتية وكان مروان بن محمد آنذاك هو الحاكم عليها[٦] ، وقام في هذه المرة بتأديبه وتأديب ابنه كما ذكر ابن النديم[٧]، ولهذا لقب بمروان الجعدي نسبة إلى الجعد مؤدبه[٨] ،وبعد ان علم الخليفة هشام به أمر بنفيه إلى الكوفة، مما يدل على ادراك الخليفة هشام بان الجزيرة والموصل من الأماكن التي يمكن ان تنتشر فيها هذه الأفكار فتصبح مصدر قلق وان الموصل لم يظهر فيها من يتصدى لا فكار الجعد آنذاك، لانشغال معظم علمائها بالعلوم النقلية او ان الجعد وجد تعاطفاً من بعض سكان الجزيرة والموصل فنفي إلى الكوفة ويظهر انه كان طليقاً فيها إذ اخذ ينشر آرائه فيها بتعطيل الصفات، كما أنكر كلام الله ومحبة الله وان ليس له كليم ولا خليل كما جاء في تعاليم الصابئة الحرانيون[٩] ، إذ ذكرت المصادر[١]، ان الجعد زعم ان الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم

(١) الشهرستاني، الملل،٢/٢٨٩.

(٢) حران: هي مدينة كبيرة مشهورة تقع في الجزيرة الفراتية وهي قصبة ديار مضر، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على يد عياض بن غنم، ينظر:الحموي،شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله،معجم البلدان، قدم له :محمد عبد الرحمن المرعشلي،(بيروت:١٩٩٦)، دار احياء التراث العربي، م٢/١٣٠-١٣١.

(٣) ابن النديم،أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق، الفهرست، ضبطه وقدم له :يوسف علي طويل، وضع فهارسه: احمد شمس الدين،ط٢،(بيروت:٢٠٠٢)، دار الكتب العلمية،ص٥٢٢

(٤) ينظر: لطائف المعارف، تحقيق: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، (القاهرة: ١٩٦٠)، ص٤٣.

(٥) ينظر:الأنساب، تقديم وتعليق:عبد الله عمر البارودي، ط١،(بيروت:١٩٨٨)، دار الجنان،٢/٦٦.

(٦) الطبري، ٦/٥٢٤-٥٢٩.

(٧) ينظر: الفهرست، ص٥٢٢.

(٨) ابن النديم، الفهرست،ص٥٢٢

(٩) الذهبي،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق:كامل الخراط واخرون، ط١١، (بيروت:٢٠٠١)، مؤسسة الرسالة،٥/٤٣٣.

موسى تكليماً، واستطاع ان يذهب إلى البصرة، ثم عاد إلى الكوفة وحبس من قبل الوالي خالد القسري بأمر من الخليفة الأموي تمهيداً لقتله، فقتل سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م)، إذ جلبه القسري إلى مسجد واسط وتم قتله بسبب آرائه الغريبة عن الاسلام[٢] .

لذلك يعد الجعد أول من عرف عنه في الاسلام انه أنكر ان الله يتكلم، وان الله يحب عباده، وكل هذه المقولات نتجت عن اعتقاده بتعطيل الصفات التي أخذها من فلاسفة الصابئة الحرانيون، كما أخذ الجعد من المجوسية(المانوية) أو المنانية كما يسميها ابن النديم، اذ ذكر الجعد من رؤساء المنانية، فقال تحت عنوان:"أسماء وذكر رؤساء المنانية في دولة بني العباس وقبل ذلك:كان الجعد بن درهم الذي ينسب اليه مروان بن محمد فيقال: مروان الجعدي كان مؤدباً له ولولده.."[٣]، وأكد ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/١٣٢٩م)على ان مذهب التعطيل أخذه الجعد من الصابئة والمجوس واليهود بقوله:"ثم أصل هذه المقالة – مقالة التعطيل للصفات – انما هي مأخوذة عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين،فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام –اعني ان الله تعالى ليس على العرش حقيقة، وان استوى بمعنى استولى ونحو ذلك – هو الجعد بن درهم..."[٤] ، وعلى الرغم من ان ابن تيمية من المتأخرين الا ان نصه يعبر عن موقف الحنابلة.

يتبين مما سبق ان الجهمية وأصولها الاولى ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي متمثلة بمقولات الجعد بن درهم وهو من تلامذة الفلاسفة الصابئة الحرانيين والمانوية فلاسفة المجوس وعلى هذا يعد الجعد هو مؤسس أفكار الجهمية[٥]، ثم أخذها عنه جهم بن صفوان أذ ذكر ابن تيمية الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان وعرفت هذه الأفكار بالجهمية، والجهم بن

---

(١) الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد، الرد على الجهمية، (المملكة العربية السعودية:د/ت)، ص١٩٠؛ الذهبي، سير،٥/٤٣٣.

(٢) الطبري، تاريخ،٤/٧٧.

(٣) ينظر :الفهرست،ص٥٢٢.

(٤) ينظر :الفتاوي،ط٣،(السعودية:١٤٢٦هـ)،٨/٣٥٧.

(٥) ابن حنبل أبو عبد الله احمد، الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله،تحقيق:صبري سلامة شاهين، ط١،(الرياض:٢٠٠٣)، دار الثبات،ص٩؛ العقل، الجهمية،ص٢٥.

صفوان أصله من بلخ وعاش مدة طويلة من حياته في سمرقند، فنسب اليها تلقى تعليمه الأول فيها، ثم ذهب إلى الكوفة قبل سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م) والتقى مع شيخه الجعد[١]، وفي الكوفة انتشرت آراء جهم، ثم عاد إلى موطنه الأول بلخ[٢]، والتقى هناك مع المفسر مقاتل بن سليمان التميمي(ت١٥٠هـ/٧٦٧م) وهو مولى من الازد أصله من خراسان، اشتهر بعلم التفسير وصنف فيه مؤلفات كثيرة منها: كتاب(متشابه القران)، وكتاب(نوادر التفسير) وغيرها من الكتب[٣]، وقال مقاتل بن سليمان بالتشبيه الناتج عن التفسير الحرفي للقرآن وأدى ذلك الى الغلو في التشبيه[٤] ، مما حمل جهم بن صفوان ان يدخل معه في مناظرات عقائدية ومناقشات في نفي الصفات عن الله، فكان جهم يبالغ في نفي الصفات والتعطيل، بالمقابل مقاتل يسرف في الإثبات والتجسيم، وكان الأخير مقرباً من سلم بن أحوز المازني قائد الوالي نصر بن سيار، فاستغل هذه المنزلة، واستطاع ان ينفي جهم إلى ترمذ[٥].

ثالثاً:الفلاسفة الدهرية السمنية:

لما نفي جهم إلى ترمذ، وجد هناك السمنية وهي من الفرق البوذية الوثنية الموجودة في الهند تعود بأصولها إلى سمني الذي توفي في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وهو من الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وإنكار البعث وقال بتناسخ الأرواح[٦]، وكان له نشاط مكثف في نشر أفكاره الفلسفية المبنية على المادية الجدلية [٧]، وقد جرت بين جهم وهذه الفرقة محاورات ومناظرات أوردها الامام ابن حنبل في كتابه (الرد على الجهمية) ، يبدو ان جهم بن صفوان نجح

(١)الطبري،تاريخ،٣٣٠/٧؛ ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ، الكامل في التاريخ،مراجعة وتصحيح:محمد يوسف الدقاق ، ط٤ ، (بيروت:٢٠٠٦)، دار الكتب العلمية، ٥/ ١٧؛ابن كثير،عماد الدين اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط٢،(بيروت:١٩٧٧)، مكتبة المعارف، ٣١٢/٩-٣١٣.

(٢) العسلي، الجهم،ص٦١.

(٣) ابن النديم، الفهرست،ص٣١٢؛ ابن الاثير، الكامل،١٩٢/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية،٣٥٠/٩.

(٤) ابن النديم، الفهرست،ص٣١٢.

(٥) العسلي،الجهم،ص٦٠.

(٦) ابن النديم ، الفهرست، ص٥٣٢؛البغدادي، الفرق،ص٢٠٢.

(٧) لوح، محمد احمد، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الاسلامية،(د/ت)، دار ابن عفان للنشر،ص٢٢٠

بجهوده في إثبات وجود الله تعالى للسمنية بالإدراك الحسي واعتمد على آيات من القرآن الكريم في حواره معهم[١]، وذكر الطبري انه في ترمذ اتصل الجهم بالحارث بن سريج التميمي الذي خرج على الأمويين سنة (١١٦هـ/٧٣٤م) لانهم أثقلوا الأهالي بالضرائب وخاصة المسلمين الجدد ، ونتيجة لما أمتاز به جهم من صفات اذ كان"ذا أدب ونظر وذكاء وفكر وجدال ومراء"[٢]،أصبح كاتباً للحارث بن سريج ووزيره وقاضيه[٣] ، واخذ يتلو سيرته على الناس وما يدعوا اليه من أفكار، فحاربه الأمويون بقيادة القائد سلم بن احوز الذي تمكن من قتل جهم وجماعته مع الحارث بن سريج وذلك سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م)[٤] ، يتبين مما سبق ان المصادر الاولى للجهمية كانت من ديانات وفلسفات متعددة اذ ذكر الملطي:"وانما سموا جهمية، لان الجهم بن صفوان كان أول من أشتق هذا الكلام من كلام السمنية، صنف من العجم بناحية خراسان، وكانوا شككوه في دينه ..."[٥] وأهم الأفكار التي دعت اليها الجهمية بعد ان انتشر الاسلام واختلطت القبائل العربية مع بعضها، وكثر دخول الاقوام الذين يدينون بديانات وفلسفات شتى ، فكان لزاماً على المسلمين ان يعيشوا بين أرباب تلك الديانات فتأثروا بآرائهم وأفكارهم وتسربت إلى الاسلام من عقائدهم نتيجة لذلك الاحتكاك والتأثر المتواصلين[٦]والجهمية تأثرت كما أوضحنا بديانات وفلسفات مختلفة، فكان لها أفكارها الخاصة بفهم القرآن الكريم وبعض المسائل العقائدية منها نفي الصفات عن الله تعالى، خلق القرآن، عذاب القبر وغيرها من الافكار ، فاثرث على فكر المعتزلة من خلال ظهور الفرق الكلامية الاولى وهم الجهمية والمعتزلة والمجسمة متزامناً، وذلك في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة /الثامن للميلاد[٧] ،اذ

(١) ابن قيم الجوزية، اجتماع،ص١١٧

(٢) الطبري، تاريخ، ٨٧/٥.

(٣) ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي، لسان الميزان، ط٢، (بيروت:١٩٧١)، مؤسسة الاعلمي،١٤٢/٢.

(٤) الطبري،تاريخ،٣٣١/٧؛ابن الأثير، الكامل،١٧/٥.

(٥) ينظر: التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع، تحقيق: محمد بن زاهد بن الحسن الكوثري، (دمشق:١٩٤٩)، مكتب نشر الثقافة الاسلامية،ص٩٦.

(٦) جار الله، زهدي حسن ،المعتزلة،(يافا:١٩٤٧)،ص٢١؛ العسلي،الجهم،ص٧٤ ؛ عمارة،محمد، المعتزلة وأصول الحكم، ط١،(القاهرة:١٩٧٥)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ص٣٣

(٧) جار الله ، المعتزلة،ص٣٣؛العقل، الجهمية،ص١٣٨.

قال الذهبي بعد نهاية كلامه عن الطبقة الرابعة في الثلث الأول من هذا القرن:" وفي هذا الزمان ظهر عمرو بن عبيد العابد، وواصل بن عطاء الغزال،ودعوا الناس إلى الاعتزال والقول بالقدر، وظهر بخراسان :الجهم بن صفوان، ودعا إلى تعطيل الرب عز وجل – أي تعطيل الصفات – وخلق القرآن، وظهر بخراسان في قبالته: مقاتل بن سليمان المفسر وبالغ في إثبات الصفات حتى جسَّم، وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السلف وحذروا من بدعهم، وشرع الكبار في تدوين السنن وتأليف الفروع وتصنيف العربية..."[١]، ورؤساء المعتزلة الأوائل تلمذوا على الجعد بن درهم واخذوا عنه إنكار الصفات، لانهم كانوا معاصرين له، ثم لما ظهر الجهم بن صفوان وتوسع في نشر مذهب الجعد، اخذ عنه أصحاب عمرو بن عبيد اذ ذكر الامام احمد بن حنبل عند حديثه عن الجهم ونشأة مقالته:"وتأول القران على غير تأويله،وكذب بأحاديث رسول الله وزعم ان من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه او حدث عنه رسوله كان كافراً، ...،فأضل بكلامه بشراً كثيراً، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية"[٢]، كما ذكر بعض المؤرخين[٣] ان واصل بن عطاء:"بعث إلى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ ولزم المسجد حتى اشتهر، ثم ناظر جهماً فقطعه، فرجع إلى قول أهل الحق، فلما عاد حفص إلى البصرة، رجع جهم إلى قول الباطل"، وذكر ابن المرتضى:" ان بعض السمنية قالوا لجهم بن صفوان هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟ قال: لا، قالوا: فحدثنا عن معبودك هل عرفته بايها؟ قال:لا،قالوا: فهو اذاً مجهول؟ فسكت وكتب بذلك إلى واصل، فأجاب...فلما أجابهم جهم بذلك،قالوا ليس هذا من كلامك،فاخبرهم، فخرجوا إلى واصل وكلموه، وأجابوا إلى الاسلام"[٤] ،يظهر من النص الأول معرفة جهم با فكار واصل عن طريق دعاة واصل بترمذ وعن طريق المراسلة بينه وبين واصل، وان الأخير أجاب جهم عن سؤاله لكي يدحض السمنية، وأعلمهم ان هذه الإجابة من تفكير واصل، فتركوا ترمذ وذهبوا إلى واصل وكلموه وأجابوه إلى الاسلام.

---

(١) ينظر :تذكرة الحفاظ، ط٢١،(بيروت:١٩٥٧)، دار احياء التراث العربي، ١/١٥٩-١٦٠

(٢) ينظر :الرد، ص١٠٤-١٠٥

(٣) الاشعري، مقالات الاسلامين، ص٢٣؛ابن المرتضى،احمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، تحقيق:سوسنة ديفلد فلزر،ط٢ (بيروت:١٩٨٧)،ص٣٤.

(٤) ينظر :طبقات المعتزلة،ص٣٤.

فكان تأثير الجهمية على المعتزلة خاصة في(نفي الصفات) ويوضحها الشهرستاني"...وانما شرعت أصحابه فيها بعد، مطالعة كتب الفلاسفة، وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات، إلى كونه عالماً قادراً"[١]، ومما يؤيد هذا القول انه لم يرد في كتب الفرق اشارة إلى نسبة القول في نفي الصفات إلى واصل وعمرو وهما المعاصرين لجهم ومن رؤساء المعتزلة،وهذا يدل على ان فكرة نفي الصفات غير واضحة عند المعتزلة الأوائل، وانما الجهم بن صفوان كان السابق أليها، ثم تسربت إلى المعتزلة اذ ذكر الامام احمد بن حنبل: كان ممن تبع الجهم أصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة[٢].

يظهر ان جهم سبق المعتزلة في نفي الصفات، والمعتزلة قالوا بذلك بعده اذ ان واصل كانت أفكاره لم تنضج بعد، اما المعتزلة الذين خالفوه فقد اخذوا يطالعون كتب الفلاسفة اليونانية فنفوا صفات الباري الزائدة عن الذات[٣]، واعد ابن تيمية المعتزلة من الجهمية فقال: فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً، لكن جهم اشد تعطيلاً لانه ينفي الأسماء والصفات،والمعتزلة تنفي الصفات[٤]، ويظهران سبب تسمية المعتزلة بالجهمية هو اشتراكهما في نفي الصفات وخلق القرآن، وهذا ما دعا كتاب الفرق إلى اطلاق كلمة جهمي على كل من قال بخلق القرآن ونفي الصفات، وخير مثال على ذلك ان أعداء المعتزلة أيام المحنة سموا المعتزلة جهمية،وهذا المثال ينطبق تماماً على المعتزلة في الموصل، فقد وصفوا بالجهمية وهذا ما سيعرضه البحث لاحقاً، ولهذا تعد المعتزلة ورثة الجهمية[٥]، والمعتزلة ينفرون من الانتساب إلى الجهمية و يؤثرون ان يتسموا بأهل العدل والتوحيد, كما يطلقون على أنفسهم اسم الفرقة الناجية[٦].

---

(١) ينظر: الملل والنحل،ج١/٤٠

(٢) ينظر :الرد،ص١٦، ١٠٤-١٠٥.

(٣) ينظر: منهاج السنة،١/٢٥٦-٢٥٧؛ شرح حديث النزول ، ط٧، (بيروت:١٩٩١) ، المكتب الاسلامي،ص٢٨-٢٩.

(٤) ينظر: منهاج السنة،١/٢٥٦-٢٥٧؛ العسلي،الجهم،ص١٦٦-١٦٧.

(٥) البغدادي، الفرق بين الفرق،ص١١٩-١٢١ ؛الشهرستاني، الملل،١/٥٦ ؛حسين، موقف المعتزلة،ص٣٣-٣٤؛ ؛ جار الله، المعتزلة،ص٣٥.

(٦) أمين، احمد، ظهر الاسلام، ط٢، (بيروت:٢٠٠٧)، دار الكتب العلمية،٤/٢١-٢٢؛ حسين، موقف المعتزلة،ص٣٣-٣٤

ثالثاً- التيار الحنبلي: نسبة الى أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ولد في بغداد سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م)، بعد ان استقرت أسرته في هذه المدينة، بعد ان جاءت من مرو، وهي من الأسر العربية التي هاجرت الى خراسان بعد الفتح العربي واستقرت بمرو، وانصرف منذ صباه الى طلب العلم ، اذ درس الحديث على يد كبار شيوخه في بغداد، ورحل الى مختلف الأقاليم والأمصار لطلب الأسانيد العالية كالكوفة والبصرة ومكة والمدينة، فنبغ في الحديث وحفظه بدليل تأليفه كتاب(المسند) وقد ضم ثلاثين ألف حديثاً، لذلك اشتهر احمد بن حنبل بكونه محدثاً ونال الامامة فيه وأثنى عليه شيوخه وعلماء عصره(١).

ثانيا: المواجهات بين التيارات الفكرية في الموصل:

وفي عصر الدولة العباسية استمر الخوارج بالظهور في الموصل(٢)، وكانت العصبية القبلية عاملا اساسيا لظهورهم، كما أخذت أفكار الجهمية في الانتشار بين المسلمين منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، اذ انتشرت في خراسان من خلال وجود جهم بن صفوان فيها ، كما انتشرت في بغداد (٣)، كما انتشرت الجهمية في الموصل اذ كان يوجد فيها من يقول لفظ القران مخلوق وهؤلاء يعدون من اللفظية (٤)،الذين هم من الجهمية، (فمسألة اللفظ) ترجع إلى قول الجهم بن صفوان(٥)،وابرز من ظهر منهم في الموصل المحدث الفقيه الشافعي الاصولي المتكلم أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي (ت٢٤٨هـ/٨٦٢م) ألف العديد من الكتب منها: كتاب في

---

(١) ابن ابي يعلي، طبقات الحنابلة،١/٤٤

(٢) السامر، الدولة الحمدانية، ص٨٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ٣٣/٧؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت،، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، ط١،(بيروت:١٩٩٧)، دار الكتب العلمية،٨ /٢١٨، ١٤/١٦٤-١٦٤

(٤) اللفظية: مصطلح يراد به من قالوا ان لفظي بالقرآن مخلوق، وقال أئمة السنة من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، وذلك لان اللفظ ينطبق على معنيين:احدهما الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله، والثاني التلفظ وهو فعل العبد، فاذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، واللفظية تقسم قسمين، قسم لفظية نافية وهم الذين قالوا بان قراءتنا للقرآن مخلوقة،وأول من قال بذلك الكرابيسي، والقسم الثاني لفظية مثبتة وهم الذين قالوا بان قراءتنا للقرآن غير مخلوقة، وان التلاوة هي ألمتلو، والقراءة هي المقروء،، ينظر:فالح،أبو عبد الله عامر، معجم ألفاظ العقيدة، ط٢،(الرياض:٢٠٠٠)، مكتبة العبيكان.

(٥) ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش ،ص١١٤-١١٥.

المقالات، كتاب في الامامة، كتاب المدلسين، كتاب القضاء[١]، وكان يقول في القران :كلام الله مخلوق، وقد أورد بن أبي يعلي (ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م) نص على لسان المحدث أبي جعفر محمد بن الحسن بن بدينا الموصلي(ت٣٠٨هـ/٩٢٠م) يتحدث فيه عن أهل الموصل في عصره اذ قال:"والغالب على أهل بلدنا الجهمية، ومنهم أهل سّنة نفر يسير يحبونك، وقد وقعت مسألة الكرابيسي، ففتنهم قول الكرابيسي: لفظي بالقرآن مخلوق"[٢].

ويبدو من الرواية أيضاً ان قول الكرابيسي في مسألة لفظ القرآن كان محل جدل في أوساط الفقهاء وانه اتهم بالجهمية بسبب ذلك، على الرغم من شافعيته، اذ ذكره ابن خلكان بانه "صاحب الامام الشافعي رضي الله عنهما، وأشهرهم بانتياب مجلسه، وأحفظهم لمذهبه"[٣]، وقد ذكر ابن حجر في كتابه لسان الميزان"ووقفت على كتاب القضاء للكرابيسي في مجلد ضخم فيه أحاديث كثيرة وآثار ومباحث مع المخالفين وفوائد جمة تدل على سعة علمه وتبحره ...وذكر ابن أبي حاتم من طريق محمد بن موسى الخولاني قال ناظرت الكرابيسي فقال أقول القرآن بلفظي غير مخلوق ولفظي بالقرآن مخلوق فذكرت ذلك لاحمد فقال هو جهمي وذكر من عدة طرق عن احمد انه رمى الكرابيسي برأي جهم"[٤], وهذا يدل على ان الكرابيسي احد أعلام الشافعية وانه جرت مناظرة بينه وبين ابن أبي حاتم الرازي (٢٤٠-٣٢٧هـ/٨٥٤-٩٣٨م)الذي درس الحديث على يد محدثي مدينة الموصل[٥] ، فضلاً عن ما سبق فان ما كان يقول به الكرابيسي لا يختلف في مضمونه عما قاله الامام أبو حنيفة النعمان(ت١٥٠هـ/٧٦٧م) بان"ألفاظنا بالقران مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة"[٦]وبالتالي فان موقف الحنابلة كان أكثر حزماً من الشافعية والحنفية في مسألة خلق القرآن او خلق لفظ القرآن بسبب موقفهم السياسي وتعرض الامام احمد بن حنبل للمحنة من قبل السلطة في ذلك الوقت، لكن يبدو

(١) السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى،تحقيق:محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو،(بيروت:١٩٧١)، مطبعة ألبابي الحلبي وشركاؤه، ص١٢١/٢.

(٢) ينظر: طبقات الحنابلة،،٢٨٨/١.

(٣) ينظر:وفيات الاعيان،١١٢/٢

(٤) ينظر:٥٥/٤.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ،٤١٦/١١-٤١٧.

(٦) ابن قيم الجوزية،اجتماع الجيوش، ص١١٤.

بشكل واضح ان أصحاب المذهب الشافعي ومنهم الكرابيسي كانوا في جدل فكري مع الحنابلة أكثر مما كان عليه أصحاب الأمام أبو حنيفة النعمان، فقد ورد في كتاب لسان الميزان عن الكرابيسي بانه:" كان يتفقه للشافعي...ثقة حافظاً، لكن أصحاب احمد بن حنبل هجروه لأنه قال ان تلاوة التالي للقرآن مخلوقة"[١]، ويبدو أيضاً ان ابن بدينا قد أقحم أهل الموصل من أصحاب المذهب الشافعي في مسألة الجهمية، لكن ذلك لا يعني ان الشافعية في هذه المدينة ينكرون ما ذهب اليه الكرابيسي في مسألة خلق التلاوة وليس خلق القرآن[٢].

كما ظهر أيضاً المحدث احمد بن حرب بن محمد بن علي بن حيان الطائي الموصلي أبو علي، ويقال له أبو بكر ولد في الموصل سنة(١٧٤هـ/٧٩٠م) و درس الحديث فيها على يد أبيه حرب بن حيان الطائي، ثم ذهب إلى بغداد واخذ الحديث من اسباط بن محمد القرشي ومعاوية الضرير وابراهيم بن علية الذي كان جهمياً، فتأثر بأفكار شيخه الأخير كثيراً وأصبح أحد القائلين بخلق تلاوة القرآن في الموصل[٣]،على الرغم من انه كان من المحدثين الصادقين في مروياته، لكنه ترك ولم يأخذ عنه الحديث بسبب تكلمه بمسألة لفظ القرآن بدليل قول ابن أبي حاتم الرازي قال:"أدركته ولم أكتب عنه كان صدوقاً"[٤]، كما ان أخاه علي بن حرب الطائي(ت٢٦٥هـ/٨٧٨م)هجره وترك مكاتبته لأنه تحدث في هذه المسألة ونتيجة لذلك رحل احمد بن حرب من الموصل[٥] إلى ثغر أذنة[٦]، واستقر هناك واخذ يتكلم بمسألة اللفظ حتى وفاته سنة(٢٦٣هـ/٨٧٦م)[٧].

---

(١) ابن حجر، ٦٦/٤.

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ٥٥/٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ٢٠/٦

(٤) الرازي، علل الحديث،٤٩/٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ٢٠/٦

(٦) ثغر أذنة: وهو ثغر من مجموعة ثغور تشمل بلاد كثيرة منها المصيصة وطرسوس، ولم تزل هذه الثغور بيد المسلمين وشهدت حروب مستمرة بين الروم والمسلمين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،م١٢/٢.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ، ٢٠/٦

اما مواجهات الحنابلة من الجهمية في الموصل فتمثلت بدعم حنابلة بغداد وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل لحنابلة الموصل، وذلك من خلال دراسة علماء الموصل على يديه وهم أولاً:المحدث ابرهيم بن ابان الموصلي توفي بعد سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م)، التقى الامام احمد واخذ الحديث عنه ، وروى عنه الكثير من المسائل، ثانياً: المحدث عثمان بن احمد الموصلي توفي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،تلقى الحديث على يد الامام احمد وروى عنه الحديث[١]، ثالثاً:المحدث موسى بن عيسى الموصلي توفي نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي درس على يد الامام احمد وروى الحديث عنه في الموصل، رابعا :أبو جعفر محمد بن الحسن بن هارون بن بدينا الموصلي درس الحديث على يد الامام احمد في بغداد وعاد إلى الموصل واشتهر برواية الحديث[٢]، فالدراسة على يد الامام احمد بن حنبل، دلت على ان النواة الاولى للحنابلة في الموصل كانت مأخوذة من أصولها الأولية، وبالتالي فان مدينة الموصل تمثل بها الحنابلة بشكل اوبآخر، وهؤلاء كونوا مدرسة للحديث في الموصل، فضلاً عن تكوين قاعدة واسعة من أصحاب المذهب الحنبلي ذو نمط جماعي، فتكوين الجماعة في الموصل من أصحاب الامام احمد كان ناتجاً من ازدياد الجهمية في المدينة وخاصة خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، كما تمثلت هذه المواجهات من خلال زعماء حنابلة الموصل وطلابهم، اذ ظهر في الموصل من قال ان لفظ القرآن مخلوق وأبرزهم أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي تكلم بمسألة اللفظ عندما قدم إلى الموصل[٣]، فواجه زعماء حنابلة الموصل ذلك بالابتعاد عنه وعدم التواصل معه، والدليل على ذلك ما قام به أبو جعفر محمد بن حسن بن بدينا الموصلي الذي كان "رأساً في السنة معادياً للجهمية"[٤]: اذ قال"سألت احمد بن حنبل فقلت :انا رجل من أهل الموصل والغالب على أهل بلدنا الجُهمية... وقد وقعت مسألة الكرابيسي، ففتنهم قول الكرابيسي لفظي بالقرآن مخلوق، فقال:لي أبو عبد الله اياك واياك وهذا الكرابيسي، لا تكلمه ولا تكلم

(١) ابن ابي يعلي،طبقات الحنابلة،٩٣/١، ٢٢١، ٣٣٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ١٩١/٢-١٩٢، ٦٣/٦-٦٤

(٣) السبكي، طبقات، ١١٧/٢-١١٨.

(٤) الذهبي، سير، ٣٦٢/٩.

من يكلمه..." ويبدو ان كلام الكرابيسي في مسألة لفظ القرآن هو الذي دفع الامام احمد بن حنبل ان يوصي ابن بدينا الموصلي بالابتعاد عنه وعدم الكلام معه، وذلك لان أهل الحديث وخاصة الحنابلة كانوا لا يرغبون في دخول مناقشات عقائدية وفلسفية وفضلوا عدم الخوض في هكذا مواضيع [١]، وكذلك احمد بن حرب تكلم في مسألة اللفظ فهجره محدثي الموصل وتركوا مكاتبته وعدم الأخذ عنه، مما جعله يترك الموصل ويتوجه إلى منطقة الثغور وهناك اخذ يتكلم في مسألة اللفظ[٢].

اما النحوي المشهور أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، فلزم شيخه أبو علي الفارسي الذي كان متهماً بالاعتزال، ويبدو ان أفكاره في الاعتزال انتقلت إلى ابن جني ولا سيما انه لازمه أربعين سنة في بغداد التي بقي فيها حتى وفاته سنة(٣٩٢هـ/١٠٠٢م)[٣] ،اذ فسر القرآن تفسيراً معتزلياً وأصبح متهماً بالجهمية اذ صرح:"ان أكثر اللغة مجاز"[٤]، فقرر ان أفعال الله كلها مجاز فخلق السموات والأرض عنده مجاز، فعنايته بالمجاز يؤكد قضية عقائدية لدى الجهمية مفادها نفي التشبيه والتجسيم عن الله سبحانه وتعالى، ويرجع ابن جني استدلاله بغلبة المجاز إلى التأمل العقلي الذي أكد ان تفشيه وشيوعه سيلحقه بالحقيقة[٥] ، ويبدو ان وجود ابن جني النحوي في هذا الجدل الفكري حول لفظ القرآن ومجازيته،يدل على ان لهجة أهل الموصل التي تأثرت بلهجة تميم لها علاقة في فهم بعض النصوص وتؤيلها، لكن تبقى مجازية القول فكرة غير مرحب بها عند أصحاب المنهج النقلي من أصحاب الحديث والحنابلة فيما بعد[٦].

---

(١) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن، مناقب الامام احمد بن حنبل ، ط٢،(بيروت:١٩٩٧)، دار الافاق الجديدة،ص١٨٤.

(٢) الرازي، علل الحديث،٩/١

(٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء،٣٨١/٤

(٤) الموصلي،محمد مختصر الصواعق المرسلة على الجُهمية والمعطلة،ط١، ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد بن رياض الاحمد،(بيروت:٢٠٠٩) مؤسسة الريان،ص٣١١.

(٥) الموصلي،مختصر الصواعق، ص٣١١..

(٦) الجومرد، محمود، اللهجة الموصلية، (الموصل:١٩٨٨)، منشورات مركز البحوث الاثارية والحضارية، ص٢٢ وما بعدها

اما رد حنابلة الموصل على ابن جني الموصلي المتهم بالجهمية بسبب قوله بالمجاز واتهمه بالكفر اذ ورد في كتاب مختصر الصواعق لمؤلفه في فصل:"كسر الطاغوت الثالث الذي وضعه الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز" قال :"فقبح الله هذا القول ولا بارك الله في أصل يتضمن هذا الكفر، والجنون"[١]، كما ظهر في الموصل أبو القاسم عبد الله بن جرو الاسدي النحوي المعتزلي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) احد القائلين بالعدل وهي أحدى مبادئ المعتزلة و فسر القرآن تفسيراً معتزلياً في كتابه (تفسير القران) لكنه توفي ولم يكمله[٢].

كما كانت المواجهات الفكرية بين الحنابلة والجهمية في الموصل تتمثل من خلال مؤلفات طلاب حنابلة الموصل مثل أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر بن أبي حاتم الرازي ولد في الري ودرس الحديث على أبيه محمد بن ادريس الرازي(ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)[٣] ، ثم رحل إلى اصبهان والشام والموصل ودرس فيها الحديث على المحدث ابن بدينا الموصلي، له العديد من المؤلفات منها كتاب (علل الحديث) وهو مطبوع يقع في جزئيين يتحدث فيه عن علل الحديث في الطهارة، الصلاة،الصوم، اللباس وغيرها من الأمور، وكتاب (المسند) وتناول فيه أهمية الأحاديث المسندة ومكانتها عند العلماء وهو غير مطبوع، اما كتاب (تقدمة المعرفة للجرح والتعديل) فهو مطبوع ويقع في تسعة أجزاء، وترجم فيه المؤلف للمحدثين من مختلف المدن وشرح أحاديثهم،وقد افتتحه مؤلفه "ببيان الاحتياج إلى السنة، وانها هي المبينة للقرآن، ثم ببيان الحاجة إلى معرفة الصحيح من السقيم، وان ذلك لا يتم الا بمعرفة أحوال الرواة"، كما ألف كتاباً رد فيه على الجهمية سماه(الرد على الجهمية)[٤].

(١) ينظر :ص٢٧٨، ٣١١.

(٢) ياقوت الحموي،معجم الادباء،٣٦٨/٤- ٣٧٠

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ١٢٠/٥.

(٤) الرازي، علل الحديث،٦/١.، ١٠

- **الخاتمة:**

تبين من خلال هذا البحث عدة أمور هي:

اولاً: ان الجهمية وافد لمدينة الموصل، ولم يكن له أصول فيها، انما جاء عن طريق طلاب جهم بن صفوان الذين قدموا الموصل في الوقت الذي كانت السلطة الاموية لم تتخذ الموقف الحازم لامتداد هذا الفكر.

ثانياً: يلاحظ من خلال البحث ان التيار المعاكس للجهمية هم الحنابلة، الذين وقفوا بشدة ضد الافكار الجهمية، ولعل السبب في ذلك، أمرين: الأول هو انتشار الخوارج في الموصل والجزيرة الفراتية، والامر الثاني هو ازدهار علم الحديث في هذه المدينة، وظهور العشرات من طلاب الحديث وشيوخه فيها خلال مدة البحث.

ثالثاً: ان الحنابلة في الموصل وموقفهم المضاد من بعض التيارات الفكرية، قد تطور من خلال موقف حنابلة بغداد ضد المعتزلة، وبالتالي فان حنابلة الموصل هم امتداد للحنابلة في بغداد،.

رابعاً: توصل البحث إلى ان بعض أصحاب الامام الشافعي في الموصل، قد اتهموا بالجهمية من قبل الحنابلة، وذلك بسبب وجود النزاعات الفردية التي تطورت، وأصبح توظيف المذهب من قبل بعض الحنابلة يؤدي إلى تراجع مكانة بعض أصحاب المذهب الشافعي مثل ما فعل الكرابيسي مع خصومه في الموصل.

قائمة المصادر والمراجع:

- أ- المصادر الاولية:-القرآن الكريم

١- ابن الأثير ،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ،(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق ، ط٤ ، (بيروت:٢٠٠٦)، دار الكتب العلمية .

٢-الازدي،ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم،(ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)،تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة،(مصر:١٩٦٧)، لجنة الاحياء التراث العربي.

٣-الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل ،(ت٣٢٤هـ/٩٣٦م)،مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١،(القاهرة:١٩٥٠)،مكتبة النهضة المصرية .

٤- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،(القاهرة:٢٠٠٥)،مطابع العبور.

٥- البلاذري، احمد بن يحيى،(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)،انساب الاشراف، تحقيق:محمد حميد الله، (القاهرة:١٩٥٩).

٦- ابن تيمية، ابو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم،(ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، مجموعة الفتاوي،ط٢،(بيروت:١٩٧٧)، دار الوفاء.

٧- الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل،(٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، لطائف المعارف، تحقيق: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، (القاهرة: ١٩٦٠)، ص٤٣.

٨-ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ،(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، مناقب الامام احمد بن حنبل ، ط٢ ، (بيروت: ١٩٩٧) ، دار الافاق الجديدة .

٩- ابن حنبل أبو عبد الله احمد،(ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، تحقيق:صبري سلامة شاهين، ط١،(الرياض:٢٠٠٣).

١٠-ابن حوقل،ابو القاسم محمد بن علي النصيبي،(ت٣٦٧هـ)،صورة الارض،دار مكتبة الحياة.

١١-الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت،(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)،تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، ط١،(بيروت:١٩٩٧)، دار الكتب العلمية.

١٢- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس ،(بيروت:١٩٧٧)، دار الثقافة.

١٣- الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد،(ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، الرد على الجهمية، (المملكة العربية السعودية:د/ت)،

١٤-الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، تذكرة الحفاظ، ط٢١،(بيروت:١٩٥٧)، دار احياء التراث العربي.

١٥- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق:كامل الخراط واخرون، ط١١، (بيروت:٢٠٠١)، مؤسسة الرسالة.

١٦-الرازي،،أبو محمد عبد الرحمن بن ابي تمام،(ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، علل الحديث.

١٧- ابن سعد،أبو عبد الله محمد بن منيع،(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى،(بيروت:١٩٥٨).

١٨- السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد ،(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)،الأنساب، تقديم وتعليق:عبد الله عمر البارودي، ط١،(بيروت:١٩٨٨)، دار الجنان.

١٩- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم،(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، تصحيح: احمد فهمي محمد،ط٨،(لبنان:٢٠٠٩)، دار الكتب العلمية.

٢٠- الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك،تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم،ط٤،(بيروت:١٩٦٦)، دار المعارف.

٢١١-بن عبد ربه ، احمد بن محمد،(٣٢٨هـ/٩٤٠م)،العقد الفريد ، تحقيق:محمد سعيد الغريان (بيروت:١٩٤٠) ، دار الفكر.

٢٢-العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر،(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، ط٢، (بيروت:١٩٧١)، مؤسسة الاعلمي.

٢٣-الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب،(ت٨١٧هـ/١٤١٤م)،معجم القاموس المحيط،ط٣،(بيروت:٢٠٠٨)،دار المعرفة.

٢٤-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم،(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة،ط١،(بيروت:١٩٨٥)، دار الكتب العلمية.

٢٥- عيون الأخبار، ضبطه ووثق نصوصه وعلق عليه: الداني بن منير ال زهوي، (بيروت:٢٠٠٦)، المكتبة العصرية

٢٦-ابن قيم الجوزية،محمد بن ابي بكر بن ايوب،(ت٧٥٢هـ/١٣٥١م)،اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية،ط١،(بيروت:٢٠٠٣)، دار ابن حزم.

٢٧-ابن كثير،عماد الدين اسماعيل بن عمر،(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)،البداية والنهاية، ط٢،(بيروت:١٩٧٧)، مكتبة المعارف .

٢٨- الملطي، ابو الحسين محمد بن احمد ،(ت٣٧٧هـ/٩٨٨م)، التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع، تحقيق: محمد بن زاهد بن الحسن الكوثري، (دمشق:١٩٤٩)، مكتب نشر الثقافة الاسلامية.

٢٩- الموصلي ، شمس الدين محمد بن محمد،(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، (بيروت:١٩٩٩).

٣٠- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله،(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،معجم الأدباء المسمى ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب، حققه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، ط١، (بيروت:١٩٩٩)،مؤسسة المعارف.

٣١- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله،(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،معجم البلدان، قدم له :محمد عبد الرحمن المرعشلي،(بيروت:١٩٩٦)، دار احياء التراث العربي.

٣٢-ابن أبي يعلي، أبو الحسين محمد،(ت٥٢٧هـ/١١٣٢م)، طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية

ب -قائمة المراجع الثانوية:

١-أمين، احمد،ظهر الاسلام، ط٢، (بيروت:٢٠٠٧)، دار الكتب العلمية.

٢-جار الله، زهدي حسن،المعتزلة،(يافا:١٩٤٧).

٣- - الديوه جي، سعيد، جوامع الموصل في مختلف العصور، (بغداد :١٩٦٣)، مطبعة شفيق.

٤-ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (بيروت:١٩٨٨)، دار الجيل.

٥-الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف، مختصر كتاب الفرق، تحرير:فيلب حتي،(مصر:١٩٢٤)، مطبعة الهلال.

٦- السامر، فيصل، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب،ط١،(بغداد:١٩٧٠)،مطبعة الايمان.

٧-السلمان،عبد الماجود احمد، الموصل في العهدين الراشدي والاموي،ط١،(الموصل:١٩٨٥)، مطبعة جامعة الموصل.

٨-العسلي،خالد، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي،(بغداد:١٩٦٥)، المكتبة الاهلية.

٩-العقل ، ناصر عبد الكريم، الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديماً وحديثاً ، ط١ ،(المملكة العربية السعودية: ٢٠٠٠) ، دار الوطن للنشر.

١٠-لوح،محمد احمد، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الاسلامية، دار ابن عفان للنشر.

١١-النوبختي،أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة فيه مذاهب أهل الامامة.

.